ولاية العلاء بن

أولاً : موقع البحرين

البحرين : هكذا ألفظ بها في كل الأحوال رفعاً ونصباً وجراً، ولم يسمع على لفظ المرفوع . والبحرين : هي في الاقليم الثاني ، طولها أربع وسبعون درجة وعشرون دقيقة من الغرب، عرضها أربعة وعشرون درجة، وخمسة وأربعون دقيقة .

وقد قيل أن البحرين : هي من الإقليم الثالث، وعرضها أربع وثلاثون درجة، هذا هو اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان. كما قيل : أن البحرين قصبة هجر، وقيل أن هجر : هي قصبة البحرين . وآخرون قالوا : أنها الصمان، وآخرون : جعلها قصبة برأسها

الحضرمي على البحرين

..بقلم :
الدكتورة/ نهال خليل
يــونس الشـــرابي

الوثيقــة ١٦١

وعدَّ البعض اليمامة من أعمال البحرين، ولكن الصحيح أن اليمامة عمل برأسه في وسط الطريق بين مكة والبحرين .

وعن ابن عباس أن البحرين من أعمال العراق وحدّه من عُمان ناحية جُرفار . واليمامة تقع على جبالها، وربما ضمت اليمامة إلى المدينة وربما أفردت، هكذا كان في زمن الخلافة الأموية .

أما في زمن الخلافة العباسية فأصبحت عُمان والبحرين واليمامة عملاً واحداً .

وعن ابن الفقيه، وأبو عبيدة بين البحرين واليمامة حوالي مسيرة عشرة أيام . وبين هجر مدينة البحرين والبصرة حوالي مسيرة خمسة عشر يوماً على الإبل، وبينها وبين عمان مسيرة شهر .

وقد قيل أن البحرين تضم : الخط، والقطيف، والآرة، وهجر، وبينونة، والزارة، وجواثا، والسابور، ودارين، والغابة .

كما قيل أن الصفا، والمُشقَّر قصبة هجر .

والبحرين : هي بلاد واسعة، وفيها عيون ومياه .

ثانياً : اشتقاق اسم البحرين :

إن في اشتقاق كلمة البحرين، أو اسم البحرين وجهان أو قولان :

الاشتقاق أو القول الأول :

يجوز أنه مأخوذ من قول العرب، بَحَرت الناقة إذا شقَّت أذنها، لأن البحيرة هي المشقوقة الأذن . من قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم "ما

جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفْتَرون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون" صدق الله العظيم . (سورة المائدة / الآية ١٠٣) والمقصود بالسائبة : أن الرجل في الجاهلية كان يسيب من ماله، فيذهب به إلى سدنة الآلهة . كما يقال أن السائبة : هي الناقة التي كانت إذا ولدت عشرة أبطن كلها إناث سيبت فلم تركب، ولم يُجَزّ لها وبر وبحرت أذن ابنتها أي خرقت . فإذن البحيرة هنا : هي السائبة، وهي تجري عندهم مجرى أمها في التحريم .

الاشتقاق أو القول الثاني :

فهو مأخوذ من قول العرب : قد بحر البعير بحراً إذا أولع بالماء فأصابه منه داء، كما يقال : قد أبحرت الروضة إبحاراً، إذا كثر إنقاع الماء فيها فأنبتت النبات .

كما يقال للروضة : البحرة . ويقال للدم الذي ليست فيه صفرة : دم باحريّ، وبحراني .

وعلى حد قول المؤلف ، قلت : هذا كله تعسف لا يجوز أن يكون اشتقاقاً لاسم البحرين، والصحيح هو قد يكون ما ذكره أبو منصور الأزهري حيث يقول : "إنما سموا البحرين لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الأحساء، وقرى هجر بينها وبين البحر . . . عشرة فراسخ، وقدرت هذه البحيرة ثلاثة أمثال في مثلها، ولا يفيض ماؤها، وماؤها راكد زعاق" .

وعن أبي محمد اليزيدي أنه قال : سألني المهدي، وسأل الكسائي عن النسبة إلى البحرين، وإلى حصنين لم قالوا حصنيّ وبحراني ؟

فقال الكسائي : كرهوا أن يقولوا حصناني لاجتماع النونين، وإنما قلت : كرهوا أن يقولوا بحريّ فتشبه النسبة إلى البحر، وفي ذلك قصة طويلة، ذكرها ياقوت الحموي في أخبار اليزيدي في كتابه أخبار الأدباء . وينسب إلى البحرين جماعة من أهل العلم والمعرفة منهم : محمد بن معمر البحراني بصري، ثقة، حدّث عنه البخاري، والعباس بن يزيد بن أبي حبيب البحراني، وهو الذي يلقب بعباسويه، حدّث عن خالد بن الحارث وابن عيينة، ويزيد بن زريع، روي عنه الباغندي، وابن صاعد، وابن مخلد، وهو من الثقاة . توفى سنة (٢٥٨هـ/٨٧١م)، وكذلك زكريا بن عطية البحراني وغيرهم .

ثالثاً : ابن الحضرمي :

الاسم واللقب :

العلاء بن الحضرمي – واسم الحضرمي : عبد الله بن عباد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر بن عويف بن مالك بن الخزرج بن أُبَيّ بن الصدف – وقيل : عبد الله بن عمار – وقيل عبد الله بن ضمار – وقيل : عبد الله بن عبيدة ضمار بن مالك – وقيل عبد الله بن عباد . والعلاء بن الحضرمي صحابي من رجال الفتوح في صدر الإسلام، أصله من حضرموت، سكن أبوه مكة، فولد ونشأ فيها . وقد قيل له الحضرمي : لأنه جاء من بلاد حضرموت، وكان قد سكن مكة، وحالف حرب بن أمية، والد أبي سفيان، وكان للعلاء عدة أخوة وهم : عمرو، وعامر، وميمون، وكانت لهم أخت اسمها الصعبة .

وعمرو أول قتيل قتل من المشركين قتله مسلم يوم نخلة، وبسببه كانت وقعة بدر سنة (٢هـ/٦٢٣م) .

أما عامر، فإنه قتل يوم بدر كافراً . وبالنسبة لأخيهم ميمون، فهو المنسوب إليه بئر ميمون، والتي كان موقعها بأعلى مكة، كان قد احتفرها في الجاهلية، وذلك قبل المبعث .

أما أختهم الصعبة بنت الحضرمي، فكان قد تزوجها أبو سفيان بن حرب بن أمية، ولكنه بعد فترة قليلة طلقها، وذلك بسبب إلحاح زوجته (هند بنت عتبة) . فتزوجت (الصعبة) بعد طلاقها من شخص آخر اسمه عبيد الله بن عثمان التيمي، فأنجبت له ولداً أسموه طلحة، فكانت تكنى (أم طلحة) .

ولكن الذي يظهر من خلال الروايات أن أبا سفيان ظل يهواها، وقد قال فيها شعراً :

وإنـــاوصعبة فيما ترى بعيـدان والـــود قـريـب
فإلا يكـن نسـب ثاقـب فعند الفتـاة جمال وطيب
لها عند سـري نــخرة يزول بها يذبل أو عسيب
فيا لقصي ألا فاعجبــوا فللوبر صار الغزال الربيب

رابعاً : ولاية ابن الحضرمي على البحرين :

كان العلاء بن الحضرمي من كتاب رسول الله ﷺ ، وكان من فضلاء الصحابة . كان رسول الله ﷺ ، قد بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي بالبحرين، وذلك بعد منصرفه من الجعرانة، سنة (٨هـ/٦٢٩م)، وكتب رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام . وجعل له جباية الصدقة، وكتب له كتاباً فيه فرائض الصدقة في الإبل، والبقر، والغنم، والثمار والأموال . وأمره أن يأخذ الصدقة من أغنيائهم ويردها على فقرائهم .

وبعث رسول الله ﷺ معه نفراً كان من بينهم أبي هريرة وقال له : "استوص به خيراً" .

وعن أبي هريرة قال : "بعثني رسول الله ﷺ مع العلاء بن الحضرمي، وأوصاه بي خيراً فلما فصلنا قال لي : إن رسول الله ﷺ ، قد أوصاني بك خيراً فانظر ماذا تحب، قال : قلت : تجعلني أؤذن لك ولا تسبقني بآمين . فأعطاه ذلك" .

وفي رواية أخرى أن رسول الله ﷺ قد كتب إلى العلاء بن الحضرمي أن يقدم عليه بعشرين رجلاً من عبد القيس، فقدم عليه منهم بعشرين رجلاً رأسهم عبد الرحمن بن عوف الأشجّ، واستخلف العلاء على البحرين المنذر بن ساوى فشكا الوفد العلاء بن الحضرمي فعزله رسول الله ﷺ ، وولى ابان بن سعيد بن العاص، وقال له : "استوص بعبد القيس خيراً وأكرم سراتهم" .

وإذا أخذنا بالرواية الأولى فإن الرسول ﷺ كان قد ولى العلاء بن الحضرمي البحرين، حيث أنه عندما بعث رسولاً من قبله ﷺ، فتحها، وأسلم صاحبها المنذر بن ساوى . وأسلم أهل البحرين، وحمل العلاء إلى رسول الله ﷺ ، مائة ألف وثمانين ألف درهم، فبعث أهل البحرين بخراجهم، فكان أول مال ورد المدينة المنورة هو خراج البحرين ومقداره سبعون ألفاً .

توفي رسول الله ﷺ وابن الحضرمي والياً على البحرين، وعندما ولي الخلافة أبو بكر الصديق ؓ أقره عليها، ثم أقره أيضاً عليها الخليفة عمر بن الخطاب ؓ .

بعث الخليفة أبو بكر الصديق ؓ إلى ابن الحضرمي وقال له : "إني وجدتك من عمال رسول الله ﷺ، الذين ولى فرأيت أن أوليك ما كان رسول الله ﷺ ولاك، فعليك بتقوى الله" .

وهنا خرج ابن الحضرمي مع حوالي ستة عشر راكباً معه فرات بن حيان العجلي دليلاً، وكان خروجهم من المدينة المنورة .

وكتب الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ كتاباً للعلاء بن الحضرمي وهو أن ينفر معه كل من مر به من المسلمين إلى عدوهم، فسار العلاء مع من تبعه منهم فنزل بحصن (جواثي) وفتحه، وهو حصن لعبد القيس بالبحرين، وقد كان ذلك في سنة (١٢هـ/٦٣٣م) . فقاتلهم ابن الحضرمي فلم يفلت منهم أحد، ثم توجه ابن الحضرمي إلى القطيف : وهي من أعظم مدن البحرين ففتحها أيضاً، وقد كان بها جمع كبير من العجم فقاتلهم، فأصاب منهم طرفاً، وفر الباقي إلى الزارة ونزل الخط على ساحل البحر، وحاصرهم وقاتلهم وقد كان ذلك موافقاً أو متزامناً مع وفاة الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ وجاء بعده الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ ، حيث طلب أهل الزارة الصلح، فوافق العلاء على ذلك وصالحهم . وبعدها عبر العلاء إلى دارين : وهي فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند، والنسبة إليها داري، وتشير الروايات إلى أن المسلمين اقتحموا إلى دارين البحر مع العلاء بن الحضرمي، فأجازوا بذلك الخليج بإذن الله جميعاً يمشون على مثل رملة فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل وإن ما بين دارين والساحل مسيرة يوم وليلة لسفر البحر في بعض الحالات .

فالتقى الطرفان، فقاتلهم ابن الحضرمي، وقتل المقاتلة، وحوى الذراري، وسبوا، وقد بلغ منهم الفارس ستة آلاف، والراجل ألفين .

وقال في ذلك عفيف بن المنذر :

ألـم تـر أن الله ذلل بـحـره   وأنزل بالكفار إحدى الجلائل ؟

دعونا الذي شق البحار فجاءنا   بأعجب من فلق البحار الأوائل

ومن هناك بعث العلاء عرفجة بن هرثمة إلى أسياف فارس فقطع في السفن فكان أول من فتح جزيرة بأرض فارس، واتخذ فيها مسجداً، وأغار على بارنجان والأسياف وذلك في سنة(١٤هـ/٦٣٥م) .

وقد أعقب كل هذا أن جاء العلاء بن الحضرمي كتاب الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يأمره فيه بالمسير إلى البصرة، حيث يقول له : " سر إلى عتبة بن غزوان فقد وليتك عمله واعلم بأنك تقدم على رجل من المهاجرين الأولين الذين سبقت لهم من الله الحسنى لم أعزله إلا أن يكون عفيفاً صليباً شديد البأس ولكني ظننت أنك أغنى عن المسلمين في تلك الناحية منه فاعرف له حقه، وقد وليت قبلك رجلاً فمات قبل أن يصل، فإن يرد الله أن تلي وليت وإن يرد الله أن يلي عتبة فالخلق والأمر لله رب العالمين . واعلم أن أمر الله محفوظ بحفظه الذي أنزله فانظر الذي خلقت له فاكدح له ودع ما سواه فإن الدنيا أمد، والآخرة أبد، فلا يشغلنك شيء مدبر خيره عن شيء باق شره، واهرب إلى الله من سخطه فإن الله يجمع لمن يشاء الفضيلة في حكمه وعلمه، نسأل الله لنا ولك العون على طاعته، والنجاة من عذابه" .

خرج العلاء بن الحضرمي في جماعة فيهم أبو هريرة، وأبو بكرة، وكان يقال لأبي بكرة حين قدم البصرة البحراني، وقد ولد له في البحرين ابنه عبد الله .

خامساً : صاحب الدعوة المجابة :

لقد كان العلاء بن الحضرمي ﷺ مجاب الدعوة، وأنه خاض البحر بكلمات قالها ودعا بها، وذلك مشهور عنه، ولاسيما في كتب الفتوح . روى عنه من الصحابة السائب بن زيد، وأبو هريرة (رضي الله عنهما) .

وعن أبي هريرة ﷺ أنه كان يقول : "رأيت من العلاء ثلاثة أشياء لا أزال أحبه أبداً : قطع البحر على فرسه يوم دارين، وقدم يريد البحرين، فدعا الله بالدهناء، فنبع لهم ماء فارتووا . ونسي رجل منهم متاعه، فرد، فلقيه، ولم يجد الماء، ومات ونحن على غير ماء، فأبدى الله لنا سحابة، فمطرنا فغسلناه، وحفرنا له بسيوفنا، ودفناه، ولم نلحد له" .

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة ﷺ أنه قال : "لما بعث النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، رأيت منه ثلاث خصال : انتهينا إلى شاطئ البحر، فقال سموا الله تعالى واقتحموا ! فسمينا واقتحمنا فعبرنا فما بل الماء أسافل أخفافنا، وضربنا بفلاة من الأرض، وليس معنا ماء، فشكونا إليه، فصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى، فإذا سحابة مثل الترس، فسقتنا واستقينا، ومات فدفناه في الرمل، فلما سرنا غير بعيد قلنا : يجيء سبع يأكله . فرجعنا فلم نره . . ." .

وفي رواية أخرى عن سهم بن منجاب أنه قال : "غزونا مع العلاء بن الحضرمي دارين، فدعا بثلاث دعوات فاستجيبت له فيهن : نزلنا منزلاً فطلب الماء ليتوضأ، فلم يجده، فقام فصلي ركعتين وقال : " اللهم إنا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللهم اسقنا غيثاً نتوضأ منه ونشرب، فإذا توضأنا لم يكن لأحد فيه نصيب غيرنا" . فسرنا قليلاً فإذا نحن بماء حين أقلعت عنه السماء فتوضأنا منه، وتزودنا وملأت أدواتي، وتركتها مكانها حتى أنظر هل استجيب له أم لا ؟ فسرنا قليلاً، ثم قلت لأصحابي : نسيت أدواتي . فجئت إلى ذلك المكان، فكأنه لم يصبه ماء قط، ثم سرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم، فقال :"يا عليم، يا حليم، يا علي، يا عظيم، إنا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلاً، فتقحم البحر فخضنا ما يبلغ لبودنا، فخرجنا إليهم، فلما رجع أخذه وجع البطن، فمات فطلبنا ماءً نغسله، فلم نجد فلففناه في ثيابه ودفناه . فسرنا غير بعيد فإذا نحن بماءٍ كثير

فقال بعضنا لبعض : لو رجعنا لاستخرجناه، فغسلناه، فرجعنا فطلبناه، فلم نجده، فقال رجل من القوم : إني سمعته يقول : "يا علي، يا عظيم، يا حليم، أخف عليهم موتي أو كلمة نحوها، ولا تطلع على عورتي أحداً، فرجعنا وتركناه" .

وعن عمرو بن ثابت قال : "دخلت في أذن رجل من أهل البصرة حصاة، فعالجتها الأطباء، فلم يقدروا عليها حتى وصلت إلى صماخه، فأسهرت ليله ونغصت عيش نهاره، فأتى رجلاً من أصحاب الحسن فشكا ذلك إليه فقال : ويحك، إن كان شيء ينفعك الله به فدعوة العلاء بن الحضرمي التي دعا بها في البحر، وفي المفازة . قال : "وما هي رحمك الله ؟ قال : يا علي، يا عظيم، يا حليم، يا عليم . فدعا بها، فوالله ما برحنا حتى خرجت من أذنه ولها طنين حتى صكت الحائط وبرئ رحمه الله" .

وروى ابن الحضرمي عن النبي ﷺ : "مكث المهاجر بعد قضاء نسكه بمكة ثلاثاً" .

والمعنى أن الذين هاجروا من مكة قبل الفتح إلى رسول الله ﷺ ، حرم عليهم استيطان مكة والإقامة بها . ثم أبيح لهم، إذا وصلوها بحج أو عمرة أو غيرهما أن يقيموا بعد فراغهم، ثلاثة أيام ولا يزيدوا على الثلاثة .

سادساً : وفاته :

اختلفت المصادر التاريخية في سنة وفاة هذا الصحابي الجليل، فقسم من المصادر ذكرت أن وفاته كانت في سنة أربع عشرة وهذا يوافق خلافة الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب ﷺ (١٣ – ٢٣هـ/٦٣٤ – ٦٤٣م) .

أما القسم الآخر من المصادر فإنها تذكر أن وفاته كانت في سنة إحدى وعشرين، وهذا يوافق خلافة الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أيضاً، ولكن يتزامن مع الفترة الأخيرة من خلافته .

إذن كانت سنة وفاته ما بين (١٤هـ/٦٣٥م) و (٢١هـ/٦٤١م) . ولكن من خلال الروايات وقراءتنا لها نرجح أن سنة وفاته كانت سنة (١٤هـ/٦٣٥م) والله أعلم .

وقد كانت وفاته في طريق ذهابه إلى البصرة، حيث أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أمره أن يتوجه إلى البصرة ليكون والياً عليها، ولكنه توفى في الطريق بموضع فيه ماء من مياه بني تميم يقال له : تياس، وذلك قبل أن يصل إليها، فولي بعده البحرين للخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الصحابي الجليل أبو هريرة ﷺ .

كان ابن الحضرمي ﷺ أول مسلم ركب البحر، وأول من بنى مسجداً في أرض الكفر، وأول من ضرب الجزية على الكفار، وأول من نقش خاتم الخلافة .

وعن ابن عباس ﷺ أنه قال : "أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بجواثي في البحرين" . وقد كان له أثر عظيم في قتال أهل الردة .

نهال خليل يونس الشرابي

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي

جامعة الموصل/ كلية التربية/ قسم التاريخ

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم

١ — الطبقات الكبير — محمد بن سعد — تحقيق علي محمد عمر .

٢ — تاريخ خليفة بن خياط — مراجعة مصطفى نجيب فواز .

٣ — المحبر — محمد بن حبيب — تصحيح إيلزة ليختن ستيتر .

٤ — المسند — أحمد بن حنبل .

٥ — صحيح البخاري .

٦ — صحيح مسلم .

٧ — فتوح البلدان — البلاذري — وضع حواشيه عبد القادر محمد علي .

٨ — التنبيه والإشراف — المسعودي — تصحيح عبد الله اسماعيل الصاوي .

٩ — البدء والتاريخ — المطهر بن طاهر المقدسي — نشر كلمان هوار .

١٠ — جوامع السيرة النبوية — ابن حزم الأندلسي — مراجعة الشيخ نايف العباس .

١١ — جمهرة أنساب العرب — ابن حزم الأندلسي — مراجعة لجنة من العلماء .

١٢ — الاستيعاب في معرفة الأصحاب — ابن عبد البر .

١٣ — صفة الصفوة — ابن الجوزي .

١٤ — معجم البلدان — ياقوت الحموي — دار إحياء التراث العربي .

١٥ — أسد الغابة في معرفة الصحابة .

١٦ — سير أعلام النبلاء — أحمد بن عثمان الذهبي .

١٧ — تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام — أحمد بن عثمان الذهبي .

١٨ — تجريد أسماء الصحابة — أحمد بن عثمان الذهبي .

١٩ — المختصر الكبير في سيرة سيدنا رسول الله ﷺ - ابن جماعة الكناني — تحقيق آسيا كليبان .

٢٠ — المصباح المضيء — محمد بن علي بن حديدة الأنصاري .

٢١ — الإصابة في تمييز الصحابة — ابن حجر العسقلاني .

٢٢ — العلام قاموس تراجم — خير الدين الزركلي .

٢٣ — بنو عبد شمس ودورهم في التاريخ العربي الإسلامي حتى نهاية عصر الخلافة الراشدة — الدكتورة نهال خليل يونس الشرابي .

٢٤ — أوراق من التاريخ العربي الإسلامي — الدكتورة نهال خليل يونس الشرابي .